

الملائكة في التقليد الشرقي

علم الخوري انطون طريه

يقصر هذا البحث على القرون الثلاثة عشر الأولى . ويقسم إلى مرحلتين :
المرحلة الأولى تطاري على ثمانية قرون . تثر بها على بعض التالسيحات عن الملائكة
عند الآباء وعلى درسين .

احدهما بالرغم من انه نسب لديونيسيوس الاثيوباجيتي لا يمتدى اواخر الجيل الخامس
والثاني تأليف يوحنا الدمشقي وبرنفي للجيل الثامن .

المرحلة الثانية من القرن التاسع الى الثالث عشر . فيها مقالان قستان في الملائكة
تخطيا وجمتا كل معطيات الوحي والتقليد . احدهما موسى ابن الحجير اسقف الموصل الذي
عاش في اواخر الجيل التاسع والثانية لفريندريوس ابن البري من الجيل الثالث عشر وكلاما
بغويانا .

المرحلة الأولى : الملائكة في التقليد الشرقي في الثمانية قرون الأولى .

لا عجب ان كنا لا نجد شيئاً مهماً يخص الملائكة في تعليم الآباء خلال
القرون الاربعة الأولى للكيسة ، لان تعليمهم كان له وجهة عملية بجهة فشفلوا
بما يتعلق بالوهية المسيح وبالثالوت الاقدس ضد الدرستين والايوسيين .
ولم يتطروا لبحث ظن خارجاً عن نطاق اهتمامهم . اشار معظم الآباء
الى وجود الملائكة كحقيقة موحة واستندوا على شهادة الرسول بولس للقول
باجواق مختلفة .

القديس ايرينه في مقاله ضد الارطقات :

« اشرح لنا النيوستيك عدد الملائكة ورتبة الرؤيا : ايفيدونا عن الفرق
بين السادات والرؤساء واللاطين والقوات »^{١)}

كيريوس الاورشليمي يقول للايوسيين :

« قروبي... »
الروساء والسلاطين وملوات»^(١) .

القديس باسيليوس تكلم عن ثمانية اجواق فاهمل رؤساء الملائكة^(٢) .
لكنهم ظلوا يترددون بتحديد طبع الملائكة والبت بروحانيتهم . فظنوا ان
الله وحده روح وما سواه فجسم اما كيف واما لطيف . فشبّه القديس
باسيليوس في مقاله عن الروح القدس طبع الملائكة « بنار غير هيولانية وبروح
هوائية^(٣) » وتقدرب اكثر من روحانية الملائكة مع غريغورال تزيتري في عظته
اللاهوتية الثانية :

« ان قالوا ان الله له جسم ملائكي فن ان للملائكة جسم وما هو ذلك
الجسم »^(٤) .

اما اول تعليم ضاف عن الملائكة فينسب الى ديونيسيوس الاريفاجيتي
تلميذ بولس الرسول الذي قبل الانجيل في آتينا حسب نص اعمال الرسل ١٧، ٣٤ .
لكن المؤلف الحقيقي يرتقي الى اواخر الجيل الخامس واوائل الجيل السادس
ويرجع اتجاؤه على ما يظهر الى البطريركية الانطاكية والى بدعة القائلين
بالطبيعة الواحدة . وذهب بعض المؤرخين امثال الدكتور Stiglthayer في اواخر
القرن الماضي واخيراً السيد Honnugman الى القول انه ساقار الانطاكي او
بطرس d'Ibère^(٥) الذي شاء وضع مؤلفاته تحت اسم تلميذ بولس ليثبتا في كل
الاورساط وخصوصاً بين الارثوذكسين .

وبين المقالات الاربعة المنسوبة لديونيسيوس بمقالة في الطنمة الملائكية
اودعها خمسة عشر فصلاً كان لما الاثر الرئيسي في علم الملائكة سواء في الشرق
ام في الغرب^(٦) .

(١) Catech. XII, P.G. XXXIII, 705 et 1113.

(٢) Orat. XXXIX, 2, P.G. LXXXV, 429.

(٣) De spiritu sancto. P.G. XXXII, 137.

(٤) Théolog. II, P.G. XXXVI, 36 B.

(٥) Pierre l'Ibérien et les Écrits du Pseudo-Denys, par Ern. Honnigman,

Mémoire, tome XLVII, fascicule 3. Bruxelles, 1952.

(٦) Hiérarchie céleste, ch. I-XV. P.G. III, 120A-340 B.

يبدأ المؤلف يقول ان الكائنات السابوية خلقها الله بمجرد ارادته روحانية
بجثة ولكنها تمثل لنا باشباه بشرية لتتصل بواسطة الصور الحسية الى ادراك
كائنات غير محسوسة .

انها اجواق مختلفة حددها المؤلف بنسمة ، نظما في ثلاث طهيمات وهذه
الاسما. تدل على وظيفه كل منها .

فالطغمة العليا تحيط بالله بعزرة مستديمة ومباشرة وتتألف من الساروفيم
والكاروبيم والجلّاس . تشرق عليها مباشرة الاعلانات الالهية .

والطغمة الوسطى تصل بين العليا والسفلى فتألف من السادات والقوات
والسلاطين .

اما الطغمة السفلى والاخيرة فتألف من الرهبانات وروسا. الملائكة
والملائكة .

تلقى الاعلانات والالهامات من الطغمة الوسطى وتبليها للبشر اذ انها على
اتصال مباشر بهم .

نجد التسمي نفسه عند يوروتيه او اسطفان ابن الصديقي في اواخر القرن
الخامس .

ثم يتطرق المؤلف الى شرح اسما. الاجواق السابوية بسهب فيكرس لذلك
ثلاثة فصول .

تسمية الساروفيم تعني الاحتراق والحراة من جراء محبة الله .

والكاروبيم يدلون على كثرة المعرفة وافاضة الحكمة . .

والجلّاس يدلون على الرفعة والابتعاد عن كل الخطاط .

اما السادات فيدأرون على التحرر من كل عبودية .

والقوات على الجراة التي لا تتحد .

والسلاطين على حسن النظام في اقتبال الهبات الالهية .

فاشتراك الطغمة الاولى في كالات الله اتم من اشتراك الطغمة الثانية بها .

التي تأتي الوسم بواسطة الطفنة سبا
وتسمية ارباسات تدل على مقام رئيسي سامي .

تسمية رؤساء الملائكة تشير الى مركز اسمي من مراكز الملائكة .
وتسمية ملائكة تدل على انهم مرسلون من قبل الله الى البشر يحملون
لهم اوامره والهوامته ويعنون بامرهم^{١١} . معهم تنهي الاجواق السماوية .
يسب للملائكة اعطاء الشريعة وفقاً لكلام القديس اسطفانوس حسب
اعمال الرسل ٥٣،٧ : « الشريعة اعطيت بواسطة الملائكة » .

يختص وظائف الملائكة يعتقد ان اكمل شعب وامة ملاكاً . يتكلم
عن ميخائيل ملاك الشعب العبراني وعن ملاك المصريين^{١٢} .

فضل ديونيسيوس يقوم بانه وضع نهائياً ونظم حسب ترتيب تدريجي العالم
العلوي . فاستقى اسما اجواق الملائكة من الكتاب المقدس : الكاروبيم من
تكوين والسيروفيم من اشيا . اما الجلاس والسادات والقوات والسلاطين
والرباسات فمن رسائل القديس يونس^{١٣} .

وزاد على ذلك رؤساء الملائكة والملائكة .

فكان لديونيسيوس تأثير هام في تنظيم اجواق الملائكة وفي اثبات
روحانيتهم . ونظراً لمقامه الرفيع واصلته الوثيقة برسول الامم اتخذت اقواله
كحجج واقعية اهدت اليه فلا يحتاج لبراهين ولا تقع تحت جدال . وقد تأثر
بآرائه كل لاهوتي الشرق والغرب الذين تكلموا عن الملائكة واخذوا منه
تنظيم عالمه السماوي .

وانما درس ديونيسيوس لا يزال مقالة كاملة في الملائكة فهو لا يتناول
الا بعض النقاط : طغيات الملائكة واجواقهم اسمائهم ، عددهم ، كنيستهم ،
اثارتهم لبعضهم البعض . ويقول بعض الشيء في وظائفهم .
يهمل ان يثبت وجودهم وان يحدد طبيعتهم . لا يشعر بحاجة لدعم اقواله

Hier. Cél. VII₁-IX₁, P.G. III, 205B-260 C. (٣)

Hier. Cél. IX₁, P.G. III, 261B. (٣)

(٣) تكوين ٢٤:٣ - اشيا ٢٤:٦ - افسس ٢١:١ ؛ ١٠:٣ كولوساي ١٦:١

ببراهين الوحي او التقليد فكان كل ما يفوه به حقائق موحاة مفروغ منها وليست بحاجة لبرهان او ادلة .

ميل متطرف للتكتم ورجعه للرموز حدث به الى التوقف على اسما الملائكة واستنادتهم لبعضهم البعض بصورة تدريجية . فكان للافلاطونية المتحدة عامة ولبروكلوس خاصة التأثير الكبير على تفكيره وآرائه ولنظرية الفيض وفقاً كبيراً على رأيه في علاقات الله بالعالم : ينزل الوحي من الله الى العظمة الاولى فالى الثانية ومنها الى الثالثة واخيراً اليها بواسطة الملائكة .

ان كان الابيوفاجيتي قد نال شهرة واسعة في العالم المسيحي ومقاماً رفيعاً حتى تناقلت تأليفه كتاب الشرق والغرب مالا جلال والتقدير فقد لاقى اقبالاً اعظم في الاوساط الشرقية وخصوصاً بين القائلين بالطبيعة الواحدة فدعي بالمعظم ديونيسيوس .

التديس يوحنا الدمشقي ٧٤٩ .

له في الملائكة فصل خاص في درسه عن الايمان الارثوذكسي لا يخلو من الاهمية اذ انه بلخص تعليم الآباء الشرقيين ويتابع تعليم الاريفاجيتي .

يبدأ فيتكلم عن خلق الملائكة وطبيعتهم . لقد خلقهم الله على صورته بانعام منه ، طبيعة لا جسدية وروحاً مجردة عن المادة حسب قول مزموذ مائة واربع : « صنع ملائكته روحاً وخذامه ثوراً تتقد » . فهذا الجواهر الروحية العاقلة هي بانعام الهي غير مائة ، لان كل مخلوق له نهاية . والله وحده اذ لا بداية له غير مائة بذاته . وهو الذي منح الطبيعة الملائكية عدم الموت .

الملاك له طبيعة روحانية عاقلة اذن له الاختيار والحرية ويمكنه ان يتغير من حالة الى اخرى . ومن له الاختيار يستطيع ان يعمل الخير او الشر حسب ارادته . لكنه بعد السقطه قد ترسخ في الخير بانعام خاص فلم يعد بإمكانه ان يجيد عند فالتحد به بشكل نهائي .

اما طبع الملائكة فبا انه مخلوق فهو محدود في المكان الذين يصلون فيه . انهم ليسوا بالوقت ذاته في السماء وعلى الارض ينتقلون بالطاقة كلية حيثما يدعهم الله فهم محدودون على صورة الارواح لا الاجساد .

بالملائكة . باسماء ومعرفتهم . بالنسبة لبيد . يانز . اودي . سع
الدمشقي ترتيب الاجواق والطهات عن تسعة اجواق وثلاث طهات .

لما وظيفة الملائكة قاروم في السماء برؤية الله وتمجيده ووضعه ارادته وعلى
الارض بالاهتمام بالشعوب والامساكن التي وكل الله اليهم حمايتها . ينجسون
الشعوب والمناطق . يساعدونا ويبتسون بامرنا . لا يتكلم بطريقة مباشرة عن
ملائك حارس لكل فرد .

ويختتم درسه بسر الآراء في زمن خلقهم :
منهم من يقول بخلقهم قبل بقية المخلوقات مثل غريغوار التريزي وآخرون
يقولون انهم خلقوا بعد خلق السماء .⁽¹⁾

يزيد درس الدمشقي على درس ديونيسيوس كل ما يتعلق بطبع الملائكة :
روحانية ، عدم الموت ، حرية ترسخ في الخير والفضيلة ، لطافة تقدمهم للتنقل
بسرعة . ولزعم من كل ذلك بطبيعتهم محدود وجودهم يقتصر على المكان
الذي يعملون فيه

هذا الدرس المختصر بتادته المحصور النطاق ليس الا خلاصة لتعليم القرون
الاولى والآراء الآباء الشرقيين في الملائكة . معه ثبتت نهائياً روحانية الملائكة
التي طالما تردد الآباء الشرقيين بالبت نيا وتكرس التنظيم الارثوفاجيتي .
ان كان الدمشقي قد شذب كثيراً من درس ديونيسيوس فلم يأخذ منه
الا ترتيب الاجواق والطهات واستنارتها لبعضها البعض تاركاً جانباً شرح تلك
الاسماء . فانه قد اكنفى بالتحليل السلي في تحديد طبع الملائكة فلم يكن
لبرهان الرحي والتقليد مكان في درسه .

يؤلف درسه ملخصاً قيناً في التعليم عن الملائكة خلال القرون الالهية
الاولى . يقتصر على اجواقهم وطبيعتهم ووظيفتهم . لكننا لم نوفق بعد بدرس
شامل ومقالة كاملة في الموضوع . هذا سيكون عمل القرون المقبلة فالإراد
اصبحت نوعاً ما متوفرة والتقليد يحرص التنظيم الملائكي وروحانية الملائكة
اخذ يستقر فأن الاوان للجمع والتفتيح .

المرحلة الثانية : الملائكة في التقليد الشرقي من القرن التاسع الى القرن

الثالث عشر .

لنا في الجيل التاسع فقط اول مقالة قيمة في الملائكة . ترك لنا موسى ابن الحجر اسقف الموصل للغة اليعقوبية ٨١٣ - ٩٠٣ مع ما ترك من التأليف درسين مخطوطين كانا ولا يزالان عرضة السيان في خزانتها كبرديج "الدرس الاول في خلق الملائكة اودعه المؤلف اربعة وخمسين فصلاً بحث فيها عن وجود الملائكة ، عن زمان خلقهم ، عن عددهم وسكناتهم"^١ .

تطراً مطوّلاً لتحديد طبيعتهم من الفصل التاسع الى الفصل الرابع والثلاثين : انهم ارواح لا جسد لها محصورون ومحدودون بالطبع . اطيّفون وسريعو التنقل لا تعوقهم الحواجز .

سيطون اذ لا جسم لهم وغير مركبين . لهم عدم الموت ليس بالطبع ولكن بانعام خاص من الله ، اذ لكل مخلوق نهاية .

قداستهم متفاوتة فكل ينال القداسة بانعام من الله حسب رتبته^٢ . اما معرفتهم محدودة ومتدرجة اذ انهم ادركوا بمناسبة سر التجسد كثيراً من الاسرار التي كانوا يجلبونها .

ويتكلم المؤلف عن حرية الملائكة وعن سلطتهم الذاتية فيقول : الملائكة احرار ولهم السلطة الذاتية التي يمكنهم بواسطتها عمل الخير او الشر . وسبب ذلك انهم خلقت روحانية عاقلة وكل خليفة عاقلة لها الاختيار باتباع الخير او الشر . برهان على ذلك سقوط الشيطان الذي كان ملاكاً . فلو لم يكن مسأطاً على ذاته لما كان سقط واستحق العقاب . ولتحديد حرية الملائكة يبيّن المؤلف بين ثلاثة اعصر .

Cambridge Add. 3285 et 3294, pp. 122 v- 150 v et 151-168 v ; 106^r (1)

132 r ; 132-149 r.

Add. 3285, pp. 124 r- 132 r. (2)

Add. 3285, pp. 132 v- 137 r. (3)

هذا ملخص المواضيع التي بحث بها المؤلف في مقاله عن خلق الملائكة .
 زاد على دروس سابقه انه برهن عن وجود الملائكة وعن خواصهم اعني
 الروحانية ، القداسة والثبات بالحير والصلاح والحرية مستنداً الى الكتاب
 المقدس والى شهادات الآباء القديسين فدرسه غني جداً بما يخص طبيعة الملائكة .
 وقد تكلم مطوّلاً عن ملاك حارس يتبع كل مؤمن طيلة حياته على الارض .
 ونسب لكل امّة وبقعة ومملكة كما فعل ديونيسيوس والدمشقي قبله ملاكاً
 خاصاً .

اما المقالة الثانية المختصة بطبقات الملائكة التي توزن مع المقالة السابقة
 وحده . فقد اودعها ستة عشر فصلاً يقتصر بها غالباً على سرد آراء ديونيسيوس
 فيما يخص الطبقات والاجواق الملائكية ومعاني اسمائها . وحيثما يشرحها ويدعما
 بشهادات مستفادة من الآباء ومن الكتاب المقدس . وجد لتنظيم الاريفاجيوتي
 للاجواق والطبقات السماوية صورة وبرهاناً في الصفوف الثلاثة من الحجارة
 الكريمة التي وضعت في رداء النيران . فكل صف مؤلف من ثلاثة حجارة
 كريمة يمثل طائفة ملائكية وكل حجر كريم جوفاً من الاجواق التسعة^(١) .
 ويتوقف على تعداد رتب الملائكة وخواصهم وشرح اسمائهم باسباب من الفعل
 السادس الى الفعل الحادي عشر . وكل رتبة تتنازع عن الاخرى بدرجةها وبمعرفة
 توافق تلك الدرجة . وتتبع الاعلانات تنظيم الرتب فتأتي من العالي الى المتوسط
 فالأدنى (فصل ١٢ و ١٣) .

ويستدل المؤلف اخيراً من كلام الكتاب المقدس عن الملائكة انهم الروف
 الروف وربوات ربوات . غير ان العقل البشري لا يمكنه ان يتوصل الى معرفة
 عددهم تماماً فهم فوق العد ولا يحصيهم سوى الله وحده^(٢) .
 المقالان مؤلفتان دون شك بحثاً غنياً ضافياً في الملائكة ودرساً شاملاً
 استوعب الموضوع من كل نواحيه . لم يقتصر ابن الحجير على سرد اجواق
 الملائكة وطبقاتها كما صنع الاريفاجيوتي ولم يتوقف على تحديد طبيعتهم باقتضاب
 كما فعل الدمشقي بل سعى بانشاء مقالة كافية في الملائكة .

(١) كـ مرجع عد ٣٢٨٥ فصل ٦ صفحة ١٥٦ قوام

(٢) « « « « فصل ٦ صفحة ١٦٤ قوام

الى التكلم من خلق الملائكة ، عن روحهم ، وساطتهم وقد استبهم وحريتهم .
ولقد نظر ان حدود طبيعتهم : لهم عند الموت ليس بداتهم بل نعمة الله .
اما معرفتهم لمحدودة وتدرجية .

غير ان نظريته بحرية الملائكة وان كانت لا تطابق تماماً رأي الكريمة
التي تعتمد وتمام ان الملائكة بعد امتحانهم قد تثبتوا نهائياً في الصالح بانعام
الهي وهي مبتكرة .

خلافاً لسابقه ينص ابن الحجر المالك الحارثي بالذكر فيقول ان لكل
مؤمن ملائكة يرشده ويعني بأسر خلاصه .

ويحسه اختلاف اجوات الملائكة الى القول ان الملائكة تتخذو الطبع
مختلفو الاجناس وهذا سبب اختلاف درجاتهم وتفاوتهم في القدرة والمعرفة .

فيذا الديرين هو اوسع واتم واجم درس نعرفه في الملائكة قبل الخيل
العاشر . وله أهمية كبرى في تاريخ علم الملائكة في التقليد الشرقي الا انه
ينقصه قبل كل شيء . تصميم منطقي .

الافكار تتوارد دون ترتيب ولا انتقاء . فيحدث للزائف ان يتر من موضوع
الى اخر دون اي تخلص . يتساءل في الفصل السابع والاربعين من مقالاته في
خلق الملائكة عن سبب وجود ملاك حارس لكل فرد . يجيب بجملة على
السؤال ويبدأ في الفصل نفسه بالتكلم عن نوع وجنس الملائكة . وكثيراً ما
يعود لفكرة سبق فتكلم عنها : مثلاً فاعل ٢٠ و ٢٣ و ٢١ و ٢٢ و ٣١ و
٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ .

فعدم الوحدة والتنسيق والتابع المنطقي كما وعدم الصيغة الشخصية تفقد
هذا الدرس كثيراً من قيمته . هو شهادة طويلة مستقاة من الوحي والتقليد
النظري قسط البرهان العقلي بها ضليل .

شأن العناية ان يكون للايقونة القسط الوافر في تطور التعليم عن الملائكة
في التقليد الشرقي . فوجد ابن الحجر خلقاً له من ابنا . ماتته ترك لنا اثراً قياً
اودعه خلاصة التلميم الشرقي الا وهو غريغوريوس ابو الفرج ابن العبري مغربيان

الدينية لبلاد العجم وما بين اسبيري وعاش في القرن الثالث عشر . شعر بانقذاب الكارثة وباجتياح الموثوق فشاء ان يجمع لابناء ملته ولكل رائد في العلم تعليم كنيسته في اهم الامور الدينية لتكون لهم زخيرة يرودونها متى نفذ المعلمون . فاتي بمجلد ضخم دعاه منار الاقداس اودعه اثني عشر مقالة خصص الحامسة منها في الملائكة¹¹ . درس بآليف سابقيه ولا سيما ديونيسيوس وابن الحجر ونهل من معين هذا الاخير ما استغاه وانتقى من مواده ما انتقى فرتب وجمع وانف مقالة موحدة مقسمة تقسماً منطقياً اودعها كل ما يتعلق بالملائكة : اثبات وجودهم وبراهين عقلية وكتابية . البحث في اجوابهم وظناتهم واسماهم وعددهم واستنارتهم لبعضهم البعض وخلقهم . وصف طبيعتهم وحدد وظائفهم . واخيراً ترك لنا مقابلة بين الملائكة والبشر وافادنا عن آراء الفلاسفة وعن بعض الاساطير التي كانت تناقل عن الملائكة .

لم يكتب المفريان بمراد شهادات الكتاب المقدس والآباء . بل ينص الملائكة بل جعل في درسه مقاماً مهاباً للبرهان العقلي لم يميل آراء الاخصار ومناقضاتهم فتاقبها وناقبها بنداً بنداً .

استخدم لبنا . مقالته درس ديونيسيوس الاريفاجيوتي ودرس ابن الحجر . عن الاول اخذ كل ما يتعلق بالاجواق والطهات الملائكية وخواصهم وميزاتهم واسماهم .

وعن الثاني اخذ شرحه للاريفاجيوتي فاتم ما وجدته من فراغ في درس الاول . اخذ عند يوهان الوحي والتقليد النظري فاوردته غالباً حرقياً وبترتيبه الاصيلي .

نباشر فتعطي تصميم مقالة ابن العبري ونأتي بعد ذلك على تأثيره في علم الملائكة .

تطوري مقالته على خمسة فصول :

الفصل الاول يثبت وجود الملائكة بثلاثة طرق :

بالاستناد الى البراهين المقتية من قبيل المجانسة فالى شهادات الكتاب المقدس واخيراً الى دحض آراء الذين ينكرون وجودهم .

ويختم الفصل بالقول ان الفلاسفة انفسهم قد سلموا بوجود الملائكة . فيعني المؤلف هنا فلاسفة العرب اي الفارابي وابن سينا .

اما الفصل الثاني فيبحث في اجزائهم وطبقاتهم ووظائف الملائكة . يتبع المؤلف تنظيم الاروفاجيتي وآراءه في اسما الملائكة ومعانيها كما في استنارتهم لبعضهم البعض . كل رتبة تثير الرتبة الادنى منها وهكذا تصل الاستشارة الىنا .

اما وظيفة الملائكة فتقوم على الارض بمجراة الافراد دون استثناء سواء كانوا مؤمنين او غير مؤمنين يعنون بامر الشعوب والمناطق ويجر كون العناصر الاربعة للافادة . ويؤمن المؤلف على غرار ابن سينا ان لكل ملك يديره . في الفصل الثالث يتكلم عن خلق الملائكة وعن طبيعتهم وصفاتهم . فيفضل الرأي القائل بتقدم خلقهم على خلق بقية الكائنات المحسوسة .

اما طبيعتهم فلا يمكن ان تحدد تماماً اذ كل تحديد يقوم باعطاء الجنس والنوع . والملائكة لا نوع لهم لتجردهم عن المادة . لذلك يمد ابن العبري الى وصف طبيعة الملائكة بالاستناد الى بعض التشابيه المستقاة من الوحي والتقليد : كنار غير هيولانية وهوا . . فكون الكتاب المقدس يشبه الملائكة تشابه مختلفة برهن على أنهم ليسوا بايجاد اذ انهم لو كانوا جسدانيين لكان مثاهم دائماً بصورة واحدة وشكل واحد .

فالكتاب المقدس والعقل يدلان على ان الملائكة مخلوقون اذن هم محدودون بالطبع .

روحانيون هم ومن روحانيتهم يستخلص المؤلف عدم الموت بالطبع ومن كونهم عاقلين يستخلص حريتهم .

ونجد هنا فرقا كبيرا بين تفكير ابن العبري وتفكير ابن الحاجر . هذا يقول ان الملائكة لهم عدم الموت لا بالطبع ولكن بانعام الهي مستندا الى قول بولس اوسرل : « الذي له وحده عدم الموت »^{١١} . وذاك ينسب لهم عدم

ما هذه العقول الا الاجواق الملائكية التسعة . فاتوحيد بين العقول المفارقة واجواق الملائكة لم يعثر عليه لا عند افلوطين ولا عند فلاسفة العرب . جل ما نَجده هو ان ابن سينا رعبه في التوفيق بين نظرية الفيض ومعطيات الدين الاسلامي القائل بوجود الملائكة^١ يوحد بين العقول والملائكة اذ يقول :

« واول رتبة هي رتبة الملائكة الروحانيين المجردين عن المادة المدعوتين عقولاً ويمتد بها رتبة الملائكة الروحانيين المدعوتين نواصراً . هؤلاء هم الملائكة العاملين . واخيراً الاجسام الدبابة فمنها شرف من سواها »^٢ .

من هذه الفكرة دون شك ذهب ابن العبري الى القول ان الفلاسفة وحدوا بين العقول المفارقة وبين اجواق الملائكة .

اما بقية الآراء المنسوبة الى الفلاسفة فانها تبحث في طبع العقول المفارقة . بما ان هذه العقول ليست مادية فهي ابدية اذ انها لو ابتدأت او كانت معرضة للتلاشي لكانت هيولانية مركبة . وكل عقل منها لكونه مجرداً عن المادة يؤتمم جنباً خالصاً يختلف به عن سواه : يعقل سواه ويعقل ذاته بالوقت نفسه . وبما ان عقل بسيط فيعرف كل شيء بنوع اجمالي عام وثبت - يدرك الاشياء الجزئية بنوع تام لا متجزئ . والمتغيرة بنوع ثابت^٣ .

ويختتم مقالته بسرد بعض الاخبار المتطرفة بعبادة الملائكة قام بها مبتدعون . لقد عثرنا على بعضها فيما رواه عن الصابئة مؤرخو الاسلام : المخريزي والمهودي والشهرستاني^٤ .

يحتج ان تتساءل الآن عن مدى تأثير ابن العبري في علم الملائكة وعن مركزه في التقليد الشرقي .

ان كان ابن العبري قد استقى معظم مادته من درس ابن الحبر فلقد نشئه ونظمه واعطاه باساروب شخصي . كل ما اخذه من افكار صبهه بتفكيره الشخصي الخاص واعطاه كما لو كان منه .

فن فصل لابن الحبر بنى برهاناً واعتراضاً وجواباً . اهل النقاط التي لا

(١) القرآن سورة ٣٥

(٢) Vis 168, pp. 186 v - 188 r. (٢)

D.Ch. Wolsoin : Die Ssabier und der Ssabismus. 2 vol. St Petersburg 1858. (٣)

شأنها والكلمات الحشر وسبب الشهادة البعيدة عن موضوع وحري تتعلق به مباشرة .

اعطى ابن العربي في درسه المقام الاول للبرهان العقلي فانت شهادات الوحي والتقليد تثبت ما اكده العقل .

فحيث يستدعي ابن الحجر وجود الملائكة كضروره فرضية من قبيل كمال الله يستدعيه ابن العربي كضروره عقلية . هذا يلجأ الى البراهين العقلية وذلك الى البراهين اللاهوتية المتقاة من الوحي والتقليد . ابن العربي يستند مثلاً الى العنصرين الموجودين في الانسان : النفس والجسد ليستخرج ضرورة وجود الملائكة . اما ابن الحجر فيستخرج من البرهان نفسه وجود الملائكة مستنداً الى كمال الخالق وكمال خلقه (ضرورة فرضية) .

ويستند ابن الحجر الى شهادات الوحي والتقليد لتحديد طبع الملائكة : روحانية ، عدم الموت . اما ابن العربي فيستخرج كل ذلك بالبرهان العقلي من كون الملائكة روحانيين .

« الموت هو افتراق النفس عن الجسد والفساد افتراق المادة عن الصورة . فلما كان الملاك مجرداً عن المادة ومترهاً عن الجسد لم يكن عرضة للموت والفساد بالطبع » .

هذا ما يميلنا الى القول ان علاقة ابن العربي بابن الحجر علاقة مادية اكثر منها معنوية اذ في تصنيفه وفي التوسيع بأرائه نبيح نهجاً خاصاً . فيفضل تفكيره الثاقب وتملقه بالوحي والتقليد رغمًا عن بعض المفومات اللاهوتية ظلّ بالاجمال مستقيم الرأي . مثيرين ما يتعلق بالايمان وبين ما هو من قبيل الرأي فاعطى وجود ملاك حارس لكل فرد كحقيقة مرحاة والقول بوجود ملائكة للشعوب وللطيبة بثابة زعم ليس الا .

نتخلص من درسنا هذا ان معطيات الوحي ضئيلة تكاد تقتصر على وجود الملائكة وظهورهم غالباً بأشياء شرية وتعداد بعض اسمائهم .

اما الآباء فتفكيرهم على الوحي وجدوا في اختلاف الاسماء التي اعطاها يرأس الرسول للملائكة اختلافاً في الاجواق . وحدا هذا بالاريفواجيتي الى تنظيم

العالم الملائكي تنظيمياً ثلاثياً محكماً . تعرض بعضهم احياناً لوصف طبع الملائكة فلم يجسموا على البت بروحانيتهم فكانت نظرياتهم مبعثرة خلال تأليفهم . واول لمحة موجزة في الموضوع تنسب للارثوفايجتي حدد بها طغيات الملائكة واجواقهم وتكلم عن وظيفتهم بانارة بعضهم البعض وادارة شؤون البشر .

وزاد عليه الدمشقي تحديد طبع الملائكة والقول بروحانيتهم وعدم الموت . فكان كلامهما في بحثه نظرياً اكثر منه عملياً .

وجمع ابن الحجر وابن العبري بين الناحيتين النظرية والعملية اذ اثبتا وجود الملائكة بالاستناد الى الوحي والتقليد والبرهان العقلي . لقد احسنا استمهال البرهان العقلي فسداً به ما وجدناه من فراغ في معطيات الوحي . بالزعم من بعض المباحثات ومن بعض الاراء التي لم يعد لها قيمة كوجود ملاك لكن من الافلاك فتعلم ابن العبري مصيب فيما يخص وجود الملائكة وطبيعتهم ووظائفهم بين البشر .

اما آراؤه فلها قيمة متفاوتة فوجود الملائكة وخلقتهم واختلاف رتبهم ووجود ملاك حارس لكل فرد حقائق موحاة اثبتها المؤلف بالبرهان العقلي . وما سوى ذلك فهو اماً قريب للايان كروحانيتهم وعدم الموت واما محتل كاختلافهم الجنسي واما رأي فقط كوجود ملاك حارس لكل عنصر من العناصر الاربعة . فيفضل ديونيسيوس كانت لنا اول لمحة في الملائكة وبفضل ابن الحجر وابن العبري اول درس لاهوتي شامل .

بيد ان درس ابن العبري يظل اهم درس عرفه التقليد الشرقي في الملائكة . لقد كان في هذا الحقل للشرق ما كان معاصره توماً الاكوييني للغرب . فقابلية بين الاثنين لا تخلو من الافادة لكنها تستغرق درساً اخر ربنا تمكنا من تحقيقه في مستقبل قريب .

